

## المقبر المزارغ

بقلم الأب غابي خير الله اليسوعي



لما لَن قَضِيَ السَّبَاتُ، لَشَّتْ رَتْمَ رِيْمِ الْمَجْدَلِيَّةِ، وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ، وَسَالُومَةُ، طَيِّبَاتٍ لِيَأْتِيَنَّ وَيُطَيَّبَنَّ جَسَدَ يَسُوعَ. [1]  
 وَفِي يَوْمِ الْمَآخِذِ بِالْمَكْرَأِ جِدَا، أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ مَعَ طَلُوعِ الشَّمْسِ. وَكُنَّ يَقُولْنَ فِيهِمَا بَيْنَهُنَّ: «مَنْ يَدْحُرُجُ لَنَا الْمَحْجَرُ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ؟»  
 وَتَفَرَّسْنَ فَشَاهَدْنَ الْمَحْجَرُ قَدْ دَحْرَجَ، وَكُنَّ كَبِيرَاتٍ جِدَا. وَدَخَلْنَ الْقَبْرَ، فَرَأَيْنَ شَابِعًا جَالِسًا عَنِ الْمِائِينَ، مَتَوَشِّحًا حَلَّةَ بِيضَاءَ،  
 فَ لَن ذَهَلْنَ. فَقَالَ لَهُنَّ: «لَا تَنْذَهَلْنَ! أَنْتَنْ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ الْمَنَاصِرِيِّ الْمَمْلُوكِ. إِنَّهُ قَامَ، وَهُوَ لِيَسُوعُ هُنَا. وَهَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي [2]  
 وَضَعُوهُ فِيهِ. أَلَا لَئِنَّهُ بَنَى وَقِيلَ لَتَلْمِيزُهُ وَلِبَطْرُسَ: إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْمَجَلِيلِ. وَهَذَا تَرَوْنَهُ، كَمَا قَالَ لَكُمْ». فَخَرَجْنَ مِنَ  
 الْقَبْرِ وَهَرَبْنَ مِنْ شِدَّةِ الرِّعْدَةِ وَالْمَذْهُولِ. وَمِنْ خَوْفِهِنَّ لَمْ يَقُولْنَ لِحَدِيثِ يَأْتِي... (مرقس 16: 1-8).

لقد تعودنا على قراءة هذه النصوص لدرجة أنها لم تعد تُثير فينا المزيد من الدهشة! فنحن نعتبر القيامة من بين الأموات من الأمور المسلم بها وأمرًا عاديًا نحتفل به كل عام... عن أي شيء نتحدث في هذا النص؟

إنه لقاء غير مُتوقَّع حول جثة قد اختفت. نساء جئن ليُطَيَّبَنَّ جسد يسوع، ويُتساءلن من سيُدحرج لهن الحجر. عن أي حجر يتكلن من؟ أليس هو ذلك الحجر الذي يفصل الموت عن الحياة خالقًا فجوةً يُتعدَّر عبورها بينهما؟ عندما وصلن إلى المقبر، فوجئن بأن الحجر قد دحرج! ومن الآن فصاعدًا يمكن لنور الحياة أن ينفذ إلى داخل المقبر ويُمكن للنسوة أن يدخن المقبر بدون أية مجازفة لأنهن شعرن بأن هنالك شيء غير متوقَّع يحدث هنا. وسوف لن يخيب ظنهن! مفاجأة أخرى كانت تنتظرهن داخل المقبر: جسد الميت

لم يعد هنا! وفي مكانه، كان هناك رجلٌ يرتدي حلّة بيضاء! الحلة البيضاء، رمز التجدد والنعاء حلّت محلّ المكفن الذي المتفّ حول البشريّة منذ سنّ قوط آدم! الرجل الذي كانت لديه الجرأة أن يظهر للنسوة ويعلن لهنّ قيامه المسيح، يحلّ محلّ آدم القديم الذي اختبأ من وجه الله بين أشجار الجنة بعد خطيئته! لقد أصبح ذلك ممكناً بسبب ذلك الذي عبر الهوة التي تفصل الموت عن الحياة. المسيح يأخذ على عاتقه خطايانا، الخطيئة الأصليّة التي وسمت البشريّة، ليعيد إليها نقاءها الأصلي الذي يرمز إليه اللون الأبيض. المسيح يأخذ موتنا على عاتقه، لكي نقوم معه جميعاً، مستقبّلين الحياة المعطاة من الأب والروح من خلال قيامته. هذا ما يرمز إليه المقبر الفارغ من جسده الميت. هذا المقبر أصبح مكاناً يسكنه الإنسان الجديد الذي يجرؤ أن يقول للنسوة الخائفات: لقد قام من بين الأموات!

هذا هو أساس إيماننا والمتمثّل بعبارة واحدة: لقد قام! وكما يُذكّرنا القديس بولس «إذا لم يكن المسيح قد قام، فإيمانكم باطل» (1 كور 15: 17). لم يره أحد عندما قام! وإلا فلن يكون الإيمان قراراً حراً! ما يطلبه من المسيح هو انضمامنا الحر إلى قيامته. إنه يطلب من أن نؤمن بالكلام الذي قاله هذا الرجل للنسوة لكي يثقن هذه الرسالة للتلاميذ وبعد ذلك لكل واحد منّا. المطلوب من أن نؤمن بهذا التسليم المستمر للرسالة منذ ألفي سنة. وفي ذلك تكمن هشاشة إيماننا. هشاشة بسبب عدم وجود دليل سوى تلك الكلمة التي قيلت للنسوة، اللواتي نقلننا إلى التلاميذ وأخيراً لكل واحد منّا، بدون أي أساس علمي. بالقوة لأنّها خالية من أي دليل وأي تبرير. إنها تتطلب عضويتنا الخاصّة وخبرتنا الخاصّة مع المآعاشة مع المقائم من بين الأموات، وهو شيء مستحيل إن لم تكن على علاقة شخصيّة معه. إن إيماننا يتطلب من أن نحفظها حيّة من خلال المعيشة في علاقة شخصيّة مع المسيح وعلاقة مشاركة مع أعضاء الإيكليزيا، أي الجماعة الكنسيّة، شعب الله.

إنّنا نعيش تجربة غير عاديّة فقد مات الموت. إنّه أمرٌ لا يُصدّق ولكن هذا ما يكشفه لنا سرّ الفصح: المقبر فارغ. من الذي كان في المقبر؟ إنه كل واحد منّا! من الذي خرج من المقبر؟ إنه كل واحد منّا في مسيرنا خلف المسيح. ما الذي يعنيه ذلك لكل منّا؟ إنّها دعوة إلى الحياة ونداء لكي لا نتلكأ على قبور حياتنا، لكن أن ندع المسيح يفتحها لكي يتمكنّ دوره من اختراقها، ويجعلنا نخرج من هذا المكان. وعلى السؤاليّ المشائخ الذي ي طرح عليّ فيما إذا كان هناك شيء ما بعد الموت، فإنّ إيمانيّ يدعوني لأن أقول: لا يوجد شيء وإنّما شخص يتبعه عدد قليل من الأشخاص الذين ينتظروننا. إخوتي وأخواتي، إن عيد الفصح هو عيد الحياة، لكنّها ليست أيّة حياة: إنّها حياة معطاة نستقبلها من المسيح. فقد تمّ اختزال الموت ليصبح ممراً. إنه ممرٌ مؤلم، قاسٍ ولكنّه يبقى ممراً!

لنبتّه اليوم، لأنّ الموت لم تعد له الكلمة النهائيّة. ويُمْكِننا أن نقول مع زكريا بأنّ المسيح جاء «ليُثير المُقيمين في الظُلْمَة وظلال الموت، ولكي يُسدّد خطانا بسبيل السلام» (لو 1: 79). وهذا الكلام يخصّ كل واحد منّا. آمين

نُشرت على موقع الرهبانية اليسوعيّة Jespro،